
سلسلة
الشيطان الأسود



المغامرون الأذكياء

المنطاد الأسود

إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير وإشراف
نعيم زرزور

دار النفائس

الطبعة الأولى

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

© دار النفائس

بيروت: ص.ب ١١/٦٣٤٧ - هاتف ٨١٠١٩٤ - برقياً: دانفايسكو

رحلة بحرية

كانت السيدة سعاد في غاية الفرح وهي تحضر ، مع أفراد الفرقة ، حوائجهم ، استعداداً للانطلاق في رحلة شائقة . . . أما خالد ، فكان منهمكاً بأداء مهمة خاصة لم يكشف سرها لأحد ، خصوصاً والدته ، السيدة سعاد ، خوفاً من إثارة مخاوفها وما يتبع ذلك من رفضها اشتراكهم في الرحلة المرتقبة . . .

أقفل خالد باب غرفته عندما كان يجمع الأدوات الخاصة بهم ، والتي اعتادوا استعمالها في مغامراتهم ، وبها حققوا النجاح في أغلب الأحيان . . . وعندما دخل عصام الحجرة وهو يحمل بنادق الصيد وحقائب الخرطوش ، نظر الى خالد باستنكار ، ووضع حمله جانباً وتقدم منه وهو لا زال يراقبه ، فما كان من خالد إلّا أن بادره بالسؤال :

- ما بك ؟ لِمَ تنظر إليّ هكذا ؟؟ . . .

تساءل عصام بتردد :

- ولماذا تعد هذه الادوات ؟ . . . هل سنحملها معنا ؟ . . .

أجابه خالد بلهجة ساخرة :

- وهل لديك مانع ؟ . . .

اغتاظ عصام من هذه الطريقة في الكلام ، فقال محذراً :

- خالد ... إننا ذاهبون الى بلد غريب عنا ... ونحن نريد الاستمتاع بهذه الرحلة ... أم هل تتوقع أن تنتظرنا مفاجأة ما ؟؟...

أجابه خالد بجد ، وقد كف عن أسلوب السخرية حينما قال :

- وماذا لو حصل ؟... ألا ترى أنه من الواجب الاستعداد لكل الاحتمالات ؟ وثانياً ، طالما أن الحقيبة تتسع لمزيد من الأغراض فلن تشغل هذه الأدوات حيزاً كبيراً فيها ؟.. أليس كذلك ؟؟..

اعترض عصام على هذا الرأي ، وعبر عن خوفه عندما أجابه بصوت يغلب الرجاء على نبراته :

- خالد ... إنك تعرضنا لقرار صارم وحازم من السيدة سعاد ... قد تحرمنا من الاشتراك في هذه الرحلة إذا علمت بما تقوم به ...

كان خالد يتابع عمله دون أن يجيب على حديث عصام ، وعندما انتهى من إعداد الحقيبة الخاصة ، وأحكم إقفالها ، التفت الى عصام ليقول له بحزم وثقة ، وقد رفع حاجبيه ليزيد من شرح موقفه :

- إذا تصرفنا بحذر لن تنتبه أمي إلى أننا حملنا أدواتنا معنا ... الأمر كله متوقف عليك ! ... وعليك أنت بالذات ؟؟ ...

استولى الذهول على عصام ، ولكنه تساءل :

- عليَّ أنا ؟؟ ... وما علاقتي بما تقوم به ؟؟...

أجابه خالد بهدوء :

- تحمل حقيبة الثياب الكبيرة التي انتهوا من إعدادها ، وهي خارج

الغرفة ، ولن يتعبك إحضارها الى هنا ...

هز عصام رأسه ورفع حاجبيه ، وهو يقول بغيظ وبصوت متقطع :

- لا ... لن أحضرها ... إنك تريد ، بتصرفك هذا ، حرماننا من الاشتراك بهذه الرحلة ...

ابتسم خالد ، ولم ينبسَّ ببنت شفة ، بل توجه الى باب الغرفة ... فتحه ... وبحذر شديد تلفت حوله ... ولما لم يجد أحداً انقض على الحقيبة الكبيرة وأدخلها الى غرفته ، فيما كان عصام يتابع تصرفاته بغيظ ظاهر ...

انكب خالد على عمله بسرعة ، خشية أن يمر الوقت سدى ، فتح الحقيبة ، وأودع في زاوية معينة من قعرها الحقيبة الخاصة ، ثم أعاد ترتيب الثياب من جديد ... وبدون أن يتحدث مع عصام ، خرج من الغرفة يستكشف الممرات ... ولما تأكد من خلوها ، دخل مسرعاً ودفع الحقيبة الى مكانها السابق في الممر ...

كان عصام يرقب ما يدور أمامه بصمت وخوف ... ها هو يعود الى الغرفة ويغلق بابها خلفه ... لكنه ظل صامتاً لا يتكلم مع عصام الذي تسمر مكانه ... لحظات مرت ، اندفع الباب بعدها ودخلت السيدة سعاد تتبعها ليلى ... وبدون مقدمات بادرتها السيدة بالسؤال :

- ماذا تفعلان ؟... ألم تنتهيا بعد ؟؟...

دون تردد ، حمل عصام البنادق بسرعة ، وقال :

- عن نفسي . . . ها هي آخر المعدات التي كلفت بحملها . . .

نظرت السيدة سعاد الى خالد وسألته :

- وأنت يا خالد ؟ . . .

ابتسم بهدوء ، وقال :

- وأنا بدوري أنهيت ما كلفت به . . .

من الجهة الاخرى ، قالت ليلى :

- هيّا إذن . . . عمي جميل ينتظرنا مع المفتش صفوة في الطابق الأول . . . وقد أرسل يطلب الاجتماع بنا . . .

خرجت السيدة سعاد يحيط بها الثلاثة الآخرون وتوجهوا الى بهو الطابق الأول حيث يناقش المفتش جميل مع المفتش صفوة موضوعاً معيناً أنهياه عندما أطل عليهم موكب السيدة سعاد ومرافقيها . . . لحظة . . . وبرز وليد من الجهة الأخرى بعد أن أنهى تحضير معدات صيد السمك . . . لفت المنظر انتباه المفتش صفوة ، فبادرهم بالقول :

- الرحالة المكتشفون ! . . .

أسرعوا نحوه وبادروه بالتحية . . . وكانت أقربهم اليه ليلى ، فقال لها ، وهو يمسك بيدها بين راحتيه ، مازحاً :

- ألا تخافين الحياة في الغابات ؟ . . . يقال أن هناك الكثير من القبائل التي تتغذى بلحوم البيض من البشر . . .

ضحكت ليلى لهذه الدعابة ، وأجابت :

- سيكون عددنا كبيراً وسأحرص أن أبقى في وسطهم حتى لا تصل إليّ

أيدي أبناء هذه القبائل بسرعة . . . ماذا لو صادفت في طريقها أمثال وليد ؟؟ . .

انفجروا ضاحكين ، وكان أكثرهم حبوراً المفتش صفوة الذي ارتمى على مقعده من شدة الضحك . . . بعد هنيهة نظر المفتش جميل الى ساعة معصمه وقال :

- لا زال أمامنا متسع من الوقت قبل قيام الرحلة . . . أرى أن نتحدث قليلاً في . . .

وتوقف المفتش عن الكلام . . . فقد أطل سرور في مواجهته يرتدي ملابس كاكية اللون . . . وعلى ظهره يحمل حقيبة رحلات من نفس القماش . . . وفي يمناه قبعة واسعة ، كاكية اللون كذلك . . . أما الحذاء الضخم الذي انتعله فإنه كان يصل الى ركبتيه . . . نظروا جميعاً ناحية سرور ، تنطق وجوههم بالتعبير عن دهشتهم . . . عندها هتف فصيح بأعلى صوته :

- سرور عظيم . . سرور جميل . . .

نفخ سرور صدره ، وتقدم بكبرياء ، وبهدوء ، جلس على المقعد الخالي الذي يشغل فصيح مسنده ، ومد يمناه ، بحنان ظاهر ، ومسح بها ريش فصيح ، دون أن يتخلى عن وقاره . . . نظر المفتش جميل إليه ملياً ، وقال :

- المكتشف العظيم . . . سرور . . .

قام سرور ببعض الحركات معبراً عن فرحه وامتنانه لما سمعه من مدح

المفتش له ، . . . وهنا تساءلت السيدة سعاد :

- هل من الحكمة اصطحاب هذه الحيوانات معهم ؟؟ . . .

امتعض سرور عند سماعه هذا الكلام ، والتفت ، جزعاً ، ناحية المفتش جميل كأنه يريد سماع رأيه في كلام السيدة . . . لكنه ارتاح قليلاً عندما سمعه يقول :

- ليسوا وحدهم يا سعاد ! . . كثيرون تصحبهم حيواناتهم في هذه الرحلة . . . خاصة الكلاب والقردة . . .

ابتسم المفتش صفوة وقال يسأل :

- القردة ؟؟ . . .

هز المفتش جميل رأسه إيجاباً وقال :

- نعم . . . ومن أنواع مختلفة . . . أنا نفسي رأيت أحد المشتركين بالرحلة على ظهر السفينة ومعه عدد من الكلاب . . .

عبرت ليلى عن فرحتها بما سمعت حين قالت :

- إذن . . . سيجد سرور رفاقاً يتباهى عليهم ويزهو أمامهم . . .

هنا تساءلت السيدة سعاد :

- كم بلغ عدد المشتركين في هذه الرحلة ؟؟ . . .

أجابها المفتش جميل :

- يزيدون عن المائة قليلاً . . . ومع ذلك فهو عدد ضئيل . . . إنه عدد غير كاف لتغطية نفقات الرحلة . . .

بادره المفتش صفوة بالسؤال :

- إنها رحلة خاسرة ، إذن ؟؟ . .

وبعد برهة تفكير ، أجابه المفتش جميل :

- نعم . . . وخسارة المتعهد في هذه الرحلة مؤكدة . . . ومع ذلك يبدو أنه ليس نادماً على تنفيذ فكرته . . . بالعكس إنه يبدو متفائلاً بالمستقبل ويأمل أن تتحسن الامور في رحلات لاحقة . . . .

لمعت عينا المفتش صفوة ببريق معين ، لكنه سرعان ما تساءل :

- هل كان المتعهد صاحب مشروع الرحلة ؟؟ . . .

أجابه المفتش جميل شارحاً :

- نعم . . . إنه ثري إيطالي يملك أسطولاً من السفن السياحية . . فكر في القيام برحلات جماعية للشباب ، ومن مختلف الجنسيات ، وسمح لهم بحمل ما يريدون . . . لم يضع شروطاً معينة أو قيوداً على ما يريدون نقله معهم . . . الشرط الوحيد هو أن تتولى كل مجموعة أمورها حسب إمكانياتها وقدراتها الخاصة . . .

كان المفتش صفوة ، والآخرون ، يصغون باهتمام لحديث المفتش جميل ، ولكنهم تحولوا بأبصارهم ناحية المفتش صفوة وهو يقول بحماسة :

- فكرة رائعة ، ولا شك . . . إلى جانب الفائدة العلمية الممكن اكتسابها وتبادل المعلومات والاحتكاك المباشر فيما بين الشباب مما يساعدهم على بلورة شخصياتهم . . . هذه الرحلات تقوي العلاقات الودية بين أبناء

الشعوب المختلفة . . وكذلك روابط الصداقة بين الشباب الذين يعيشون حياة مشتركة . . . ليته يكرر مثل هذه الرحلات ويوسع دائرتها . . .

ابتسم المفتش جميل لملاحظة المفتش صفوة الاخيرة ، وقال معلقاً :

- كيف يكرر القيام بهذه الرحلات وخسارته في أولاها فادحة ولا شك ؟؟ . . . كان يتصور اشتراك أضعاف هذا العدد من الشبان . . . ومن مناطق مختلفة من العالم . . . تصوّر ؟؟. . .

تدخلت السيدة في مجرى الحديث الدائر أمامها وقالت :

- ومن يرعى هؤلاء الشبان ويسهر على راحتهم أثناء الرحلة ؟؟. . . .

كان كلام السيدة يعكس شعور الأم الرؤوم التي تحرص على راحة أبنائها ولم يدر في خلدها ضرورة السماح للولد ، وفي هذه السن بالذات ، بحرية التصرف الموجه لبلورة شخصيته الخاصة وتحضيره للاعتماد على نفسه مستقبلاً . . لكن المفتش جميل بدد قلقها عندما قال :

- لقد حصل الرجل على موافقة عدد من الأطباء ، ومن مختلف البلدان التي شارك شبابها في الرحلة ، للعناية بصحة هؤلاء الشبان ، إضافة الى عدد من المساعدين لهم . . . اطمئني . . . إنها بعثة كاملة تقريباً . . . مزودة بما يكفي من أسباب العلاج ولم يغفل ، كذلك ، الحراسة المسلحة . . .

تساءل عصام بصوت مرتفع :

- سيصحبنا طبيب إذن ؟؟.

سأله خالد بدوره :

- وما سر اهتمامك بالطبيب بالذات ؟؟. . .

التفت عصام ناحية وليد وقال يستثيره :

- لا شك سيتناول وليد كميات من فواكه المنطقة المقصودة وهذا سيسبب له مضاعفات في معدته . . . أريد الاطمئنان على سلامته، هذا كل شيء !!. .

أثار حديث عصام موجة من الحبور بين الموجودين ، فيما كان وليد يحاول جمع قبضة يده اليمنى ليلقن عصاماً درساً لن ينساه ، ولكنه خجل أن يفعل ذلك أمام الجميع . . . فكظم غيظه . . . لكن حديث المفتش جميل أنقذه من براثن الحيرة التي تملكته ، . . فقد سمعه يقول لهم :

- ستذهبون في سيارتكم . . . ونحن سنستقل سيارة المفتش صفوة . . . مفهوم ؟؟

عم المرح والحبور أرجاء المنزل وعبرت كلمات ليلى عن سرورهم عندما قالت :

- عظيم . . . سيكون عمي المفتش صفوة في وداعنا ؟؟. . .

حمل كل منهم ما أوكل اليه حمله من متاع وحقائب ، وبعد برهة تحركت السيارتان نحو المجهول . . . ولو تنبأت السيدة بما سيجري لرفضت اشتراكهم بدون شك . . .

* * *

كبار يثيرون الشكوك . . .

كانت السفينة البيضاء الضخمة تتراقص على صفحة الماء ، وعلى ظهرها وقف خليط من الشبان والشابات ، ملابسهم مختلفة الأزياء ، متعددة الألوان . . . إنهم خليط من شعوب متباينة الأذواق والأفكار . . . وعلى جانبي مقدمها ظهرت حروف اسمها ، كبيرة ، نحاسية بارزة . . . « ماريانا » .

ثمة قرد يسير بثقة وثبات ، يتمختر في ردائه الجميل ، فقد استرعى انتباه جميع الموجودين . . . مسافرين ومودعين . . . . بجرأة وخفة ارتقى درج السفينة واستقر على ظهرها بين المسافرين . . . في حين توقف خالد مع باقي أفراد الفرقة يسمعون حديث المفتش يقول لهم :

ـ أحسنوا التصرف وحافظوا على النظام . . . احترموا قوانين الرحلة ونفذوا ما يطلب منكم . . . ولا تورطوا أنفسكم في مشاكل . . : مهما كان نوعها . . . مفهوم !! . .

أنهى المفتش حديثه عندما تعالى في أجواء المكان صفير الباخرة مرات متتالية إيذاناً بالتحرك . . . على المودعين مغادرة ظهر السفينة إذن . . . وهذا ما قام به المفتش وزوجته يرافقهما المفتش صفوة . . . وكالعادة . . . استمر فصيح يردد آخر عبارات الوداع :

ـ مع السلامة . . . مع السلامة . . .

وآذنت اللحظة الحاسمة ، وتحركت السفينة تمخر عباب البحر مبتعدة عن رصيف الميناء ، وعلى ظهرها وقف الركاب يرقبون أحباءهم الذين يبادلونهم التلويح بالأيدي وعبارات الوداع . . .

مضت لحظات يسيرة هدأت فيها الحركة على ظهر الباخرة ، وانصرف أعضاء كل فريق إلى مقصوراتهم المخصصة لهم لإعدادها كما يحلو لهم . . . . وبعدها . . . انطلقوا يمرحون على ظهرها ، ليمتعوا أنظارهم بمناظر لم يسبق لهم رؤيتها . . . وليستكشفوا المعدات الحديثة ، التي زودت بها السفينة . . . إنها من أحدث ما توصل إليه العلم في ميدان البحار . . . إضافة إلى وسائل الراحة والترفيه والتسلية المتنوعة . . . واللافت للنظر ، بعد كل هذا ، ذلك المطار الصغير والطائرة المروحية الجاثمة على أرضه . . . كان أفراد الفرقة يحاولون التقدم نحو المطار عندما اعترض سبيلهم بحار قال لهم بأدب جم :

ـ ممنوع الصعود إلى هذه البقعة . . . عن إذنكم . . .

اعتذروا بأسلوب مشابه لأسلوب البحار ، وعادوا أدراجهم يتقدمهم سرور الذي كان مع فصيح محط أنظار جميع من يصادفهم . . . وقد يرغب بعضهم بملاطفة أحدهما فيستجيب بكل فخر . . . . وقرب حمام السباحة تخيروا مائدة في ركن هادىء وجلسوا يستمتعون بنسيم البحر المنعش . . . كانت ليلى أول المتكلمين عندما قالت مستنكرة :

ـ أنا لا أحب الأوامر غير المقنعة . . .

شاركها عصام استنكارها وقال مؤيداً :

- أنا من رأيك . . .

نظر إليها خالد وعيناه تعكسان تفكيره فقال :

- أمركما غريب . . . هل ترغبان في تسيير الأمور حسب أهوائكما ؟ . . . قالوا ممنوع ! . . . إذن ممنوع . . . هل تريدان مناقشتهم بأسبابهم . . . حتماً هناك أسباب تحظر الصعود إلى المطار . . .

كانوا ينصتون إلى حديث خالد واجمين ، إلى أن قاطعه وليد ليقول :

- مما لا شك فيه أن العبث بأجهزة الطائرة المروحية التي رأيناها يسبب الأعطال فيها . . . لذلك من الضروري الحؤول دون الوصول إلى مكانها . . . من يدري ؟ . . . .

نظر خالد ناحية وليد وأثنى على رأيه بقوله :

- . . . وهذا ، لا شك ، من أهم الأسباب لهذا الحظر . . . .

ران صمت ثقيل على مجموعهم ، حاول كل منهم تبديده بالنظر إلى ناحية مختلفة . . . وبعد برهة خرج عصام من صمته وقال باستغراب :

- ظننت أن الرحلة تقتصر على الشبان فقط دون الرجال الكبار !!!!

نظر وليد إلى حيث ينظر عصام ، وقال يجيبه :

- - ربما كانوا من العاملين على متن السفينة . . . أو ربما كانوا من أفراد البعثات الطبية . . . .

التفت خالد نحوهما ووجه السؤال إلى عصام :

- ماذا دهاك يا عصام ! إنك تشككت في كل شيء حولك ؟ . . . ماذا

يجول في ذهنك ؟ . . .

قبل أن يجيبه عصام ، شاهد أحد البحارة يقترب من طاولة الرجال الأربعة الذين أثاروا شكوكه بحضورهم على ظهر الباخرة . . . انحنى البحار على أذن أحدهم ، وهمس له بعض كلمات ؛ نهض الرجل على أثر سماعها ، وانصرف بصحبة البحار . . . وعن بعد تناهى إلى أسماع الأذكياء صوت أحد الثلاثة الآخرين يقول بضيق ظاهر :

- حقاً يكاد ذلك المتشكك أن يقول خذوني . . . لا بد أنه سيطرح عليه السؤال عينه : كيف حاله الآن ؟ . . . هل هو على أتم استعداد ؟ . . . أسئلة من هذا القبيل . . . يا للسخف . . .

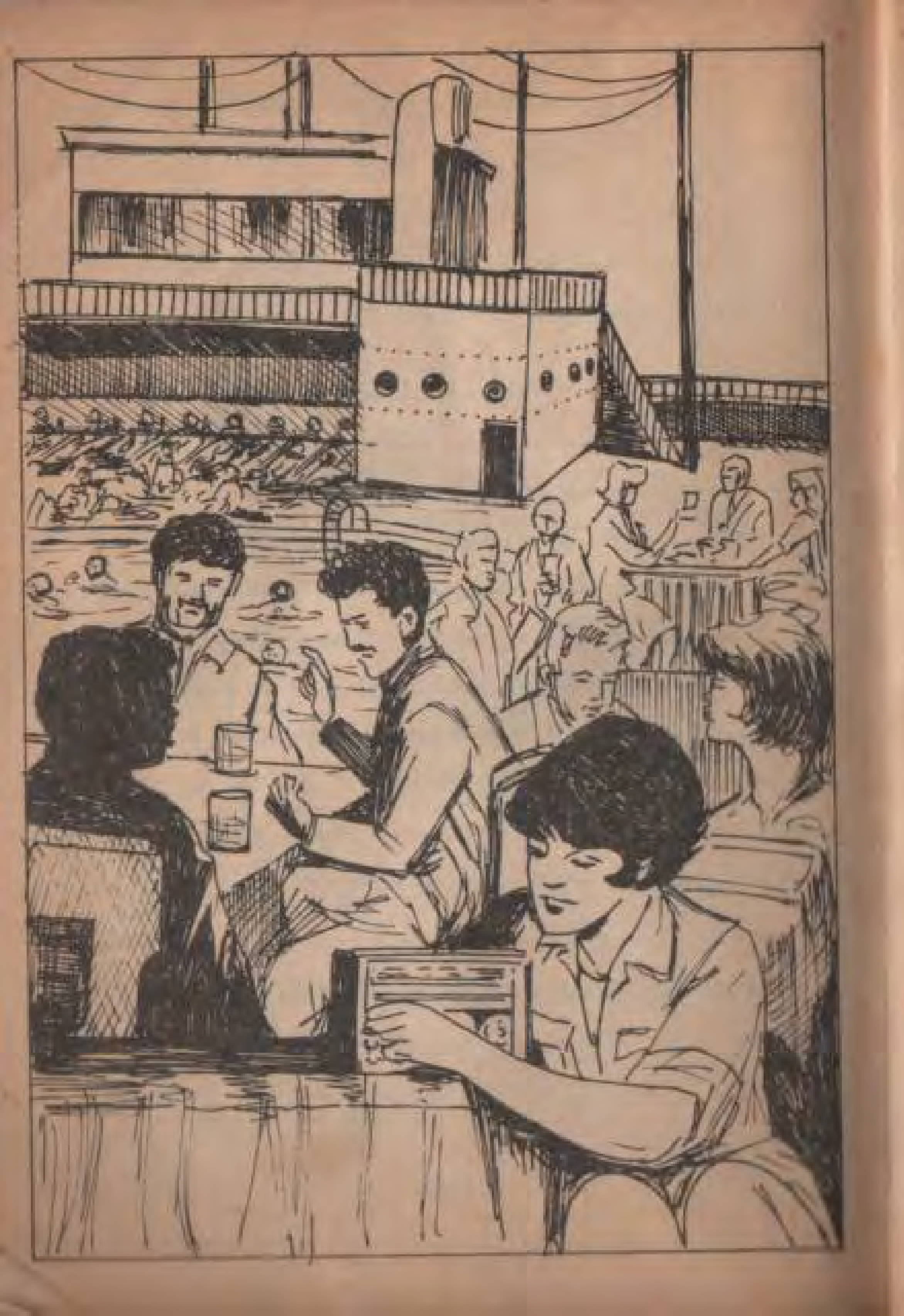
تعالت ضحكات رفيقيه ، ولكنها لم تكن تعبر عن فرح أو حبور . . . بعدها قال أحدهما :

- إن صفقة بهذه الضخامة تستحق منه كل هذا الاهتمام . . . طبيعي أن يقلق بشأنها . . . خلل بسيط ويذهب كل استعداده وانتظاره أدراج الرياح . . . .

كان خالد يصغي بانتباه . . . فقد كان قبل قليل لا يعير وجودهم أدنى اهتمام ، والآن . . . وبعد سماع هذه الكلمات ثارت الشكوك لديه . . . فقال معبراً عنها :

- هل سمعتم ؟ . . . إنهم يذكرون صفقة ضخمة ؟؟

كان عصام قد صرف النظر عن التفكير بما رآه بعد التحذير الذي



وجهه إليه خالد . . . لذلك قال بعدم اكتراث :

- وما شأننا نحن ؟ حتى ولو كانت بمليار دولار ؟؟ . . . .

تابع خالد تساؤلاته ، فقال كمن يفكر بصوت مرتفع :

- ما معنى عبارته : خلل بسيط يذهب بكل شيء ؟؟ . . . .

وقفت ليلى وقالت :

- أنا لست على استعداد لإجهاد ذهني بالتفكير في أمر لا يهمنا . . . . ما رأيكم في إجراء مباراة في كرة الطاولة ؟؟ . . .

وقف عصام بدوره إلى جانب وليد الذي تحمس للفكرة ووقف هو الآخر مؤيداً ، بينما بقي خالد جالساً في مكانه صامتاً ، فالتفتت ليلى إليه وسألته :

- وأنت يا خالد ؟؟ . . .

وبهدوء أجابها :

- أفضل البقاء هنا . . . تحت هذه المظلة . . . فلا رغبة لي في بذل أي مجهود في هذا القيظ الخانق ؟ . . .

غادر الثلاثة المكان يرافقهم فصيح بصحبة ليلى لتشجيعها ، كما يفعل عادة . . . فيما بقي فينو وسرور إلى جوار خالد . . . مرت لحظات يسيرة ظهر خلالها الرجل الرابع ، فهب الثلاثة الآخرون لاستقباله على طريقتهم الساخرة فقال أحدهم :

- هل هو على ما يرام ؟؟ . . . هل تأكدت من صلاحيته ؟ . . . هل كان هذا هو السؤال المطروح أم أضاف إليه كلمات جديدة ؟؟ . . .

جلس خالد بطريقة تسمح له بمراقبة الأشخاص الأربعة دون أن يثير انتباهم ... لذلك لمح على ثغر الرجل القادم ظل ابتسامة ساخرة وهو يقول :

- إنكم أغبياء حقاً ؟... هل أتعبني سماع كلماته التقليدية ؟؟... دعوه يسأل كما يشاء ... في النهاية سيعلم أين ستهبط الحمولة !!

انفجروا يضحكون ضحكات صاخبة ... تحس لسماعها وكأنهم يبكون ، أو يتباكون ... كانت ضحكاتهم مسمومة لا مرح فيها أو فرح ... أو هكذا أحسها خالد الذي كان يصغي بكل أحاسيسه لما يسمع .... لقد ذهب بتفكيره بعيداً ، وبعيداً جداً ... أدرك من بعض الكلمات التي تناهت إلى سمعه ، متقطعة ، أن ما يرمون إليه ، أو يفكرون فيه شيء خطير ... ما هو يا ترى ؟؟... إنه لم يتوصل الى معرفة الحقيقة بعد ... وبدون تفكير ، امتدت يده لتضغط على زر التسجيل في مسجلته ذات اللاقط الحساس الذي يسجل كل همسة ... ولو عن بعد عدة أمتار ... لماذا قام بهذا العمل ؟؟ لم يكن يعلم لماذا ؟ ولكنه شرد بتفكيره بعيداً ، وهو يصغي باهتمام لحديثهم دون هدف معين ... وازداد اهتمامه عندما سمع أحدهم يقول بصوت مرتفع نسبياً :

- بعد عبورنا لأول ممر مائي يعترض سيرنا يجب أن نرسل ... وهمس ببقية الجملة همساً لم يسمعه خالد .

أجابه الآخر مقاطعاً :

- سأهتم أنا بهذا الأمر ... عليكم فقط مراقبة الشاطىء .

انتبه أكبرهم سناً ، وهو الذي غادر الطاولة من قبل ، وقال محذراً :

- ما بالكم تتحدثون بهذا الصوت المرتفع ؟... إنكم ترفعون صوتكم بالحديث وكأنكم تستعدون لوليمة في منزل واحد منكم ... اخفضوا أصواتكم ...

كان خالد يجلس وحيداً في مكانه ، ويبعد عنهم مسافة لا بأس بها ، لذلك لم يستغرب قول أحدهم :

- وهل ترى حولنا من يستحق كل هذا الاهتمام ؟؟...

ودون أن يعلق على كلامه ، قال الآخر :

- سأكون بانتظارك في المطار حوالي الثانية من فجر بعد غد ... سينطلق في تمام الثانية ليصل الى هدفه مع بزوغ الفجر ... حذار من التأخير في الحضور ، وإلاّ أفسدت كل شيء ... إن أي تأخير في حضورك يقضي بإلغاء العملية، وعندها لن يكون حسابك على يدي ... أنت تعرف الباقي ؟؟ مفهوم ؟؟...

تيقن خالد أنهم لا بد مقدمون على القيام بعمل خارج عن حدود القوانين ... ما هو هذا الأمر يا ترى ؟ ما معنى ما سمعه من حوار بينهم، لا بد من مصارحة رفاقه بما سمع ... ولكن ماهو موقفهم ؟؟... قد يسخرون من هذا التفكير ... لا بد أنه يهذي ؟... لا ... لن أصارحهم طالما لم يقتنعوا بصواب تفكيري ...

استمر خالد على هذه الحالة وقتاً طويلاً ، إنه يفكر بما عساه يفعل ... وفجأة خطر له خاطر ؟ ... لماذا لا يقوم بنفسه ، بالكشف على حقيقة ما يجري أمامه ؟؟ ... غداً سيتم عبور الممر المائي ؛ سيراقب وحده الأمور ومجرياتها قبل أن يصارح رفاقه بشكوكه ...

استقر تفكير خالد عند هذه النقطة . وفوراً بدأ بتنفيذ ما يريد ... دعا فينو القابع أمامه وربت على رأسه قليلاً ثم قال هامساً في أذنه :

ـ فينو ... هناك ... اتبع فينو ... هناك ...

كان يشير بيده إلى ناحية الرجال الأربعة ، واعتمد على حسن تدريب فينو وفهمه للمهمة التي يكلف بها بعد طول ممارسة ...

نهض الكلب الذكي ، وتلفت حوله بحذر ، واتجه صوب الرجال الأربعة بعد أن دار حول طاولة خالد عدة دورات ، يتشمم خلالها الأرض ... إنه ينفذ مهمة لذلك لا بد من التمويه في العمل ... وبعد لحظات كان يتشمم الأرض حول الرجال الأربعة ... ويدور حولهم دون إثارة شكوكهم ... إن فينو يتمتع بحاسة شم فريدة مدربة على القيام بأعمال مشابهة وهي تحتفظ برائحة الأشخاص الذين تحتك بهم لمدة طويلة ... وعلى هذه الخاصية اعتمد خالد في تنفيذ مهمته بنجاح ...

عندما غادروا المكان ، كان خالد يهمس من جديد في أذن سرور ، الذي كان بجانبه ، يتابع إشارة يد صاحبه :

ـ سرور ... اتبعهم ...

حاول خالد تكرار الطلب إلى سرور ، ولكنه اختفى من أمامه بخفة وتوارى عن الأنظار بسرعة ينفذ المهمة المكلف بها ...

بقي خالد في مكانه وقد غمره سرور لم يدر سببه ... إنه نفذ كل شيء قبل عودة رفاقه ... ها هم يظهرون من الجانب الآخر تسبقهم ضحكاتهم الرنانة معلنة حضورهم ...

على أقرب مقعد ، ألقت ليل بنفسها ، وقالت وهي تلهث :

ـ يا إلهي ... لقد تعبت كثيراً هذه المرة ...

اتخذ كل منهم مكانه إلى الطاولة ، وخالد يتأملهم بهدوء دون أن ينبس ببنت شفة ... إلا أن البيغاء الذكي ، برغم انشغاله بالمباراة وبما جرى فيها ، لاحظ غياب صديقه الحميم سرور ... فقد تعب كثيراً وهو يشجع ليل في لعبها ، وله الفضل في فوزها على كل من عصام ووليد ... ومع هذا هتف فصيح بقوة :

ـ سرور ؟؟ سرور !!

انتبهت ليل لصياح فصيح ، وتلفتت حولها وتساءلت :

ـ صحيح !! . أين سرور ؟؟

حافظ خالد على برودة اعصابه وهو يجيب دون اكتراث :

ـ لا أدري ... كان هنا منذ لحظة ؟ ... لا بد أنه يمرح في مكان قريب ؟؟ ...

وقبل أن ينتهي خالد من إجابتها ، كانت يدها تمتد إلى آلة التسجيل ... ولكن يد خالد كانت أسرع في الوصول إليها ،

فاختطفها وقال والابتسامة على محياه :

ـ لا تكوني أنانية يا ليلى . . . . لقد لعبتم ومارستم الرياضة التي اخترتموها وأنا اخترت ما يروق لي . . . دعيني استمتع بسماع ما يحلو لي . . . . .

كان تصرف خالد يدعو للاستغراب ، فهو لم يمنعها من استعمال جهاز التسجيل ولو مرة واحدة . . . ما باله اليوم ؟ . . . لكنها ضحكت وقالت :

ـ لا بأس . . . هات اسمعنا ما يحلو لك . . .

كانت يد خالد تعبث بالجهاز كما يريد بخفة ورشاقة ، ويده الأخرى تختار أحد أشرطة التسجيل من الجعبة المخصصة لها . . . وببراعة استبدل الشريط الخاص الذي سجل عليه أحاديث الرجال الأربعة دون أن يثير انتباه أحد منهم . . . وبهدوء وضعه في جيبه ليبقيه بعيداً عن متناول أيديهم . . . فيما شغل الجهاز ليستمتع بسماع الأغنيات الجميلة التي يحتوي عليها . . .

* * *

موانىء القطر

وصلت « ماريانا » إلى موانىء القطر في الصباح الباكر ، وعلى مهل تهادت على صفحات الماء لتستقر أمام الرصيف المخصص للرسو المؤقت ، ومن خلال إذاعتها الداخلية ، وجّه القبطان حديثه إلى المسافرين معه ، معلناً أن « ماريانا » ستتوقف لعدة ساعات في هذا الميناء للتزود بالمؤن والمياه والوقود اللازم . . . وأبلغ من يريد زيارة المدينة وجوب الحضور الى السفينة قبل الساعة العاشرة مساء موعد إقلاعها من جديد إلى المكان المقصود . . .

كان سرور الركاب كبيراً ، خاصة أفراد فرقة الأذكياء . . . فقد رحبوا بالفكرة كثيراً فهم بغاية الشوق للتجول في هذه المدينة والتعرف إلى معالمها عن كثب . .

وغير بعيد عنهم كان « فينو » و« سرور » يتأهبان للرحيل معهم بدورهما ، فقال وليد وهو ينظر الى الرصيف :

ـ ما رأيكم ؟ . . . إخواننا ، على ما يظهر ، يستعدون لمصاحبتنا . . .

أجابته ليلى :

ـ وما المانع ؟؟ . . .

قال وليد بحرارة واستنكار :

ـ سيلفتون الينا الأنظار ؟ . . .

هز عصام كتفيه باستخفاف وقال :

ـ لا يهم . . . للوهلة الأولى سيبدو منظرنا غريباً ، ولكن سرعان ما يصبح مألوفاً وسط هذا الخليط من الأجناس . . .

غادروا السفينة متوجهين الى المدينة حيث قضوا يوماً جميلاً لم يكن متوقعاً ما حصل فيه . . . شاهدوا معالمها الجميلة والأثرية . . . وقصدوا أشهر مطاعمها وتناولوا السمك الشهي التي اشتهرت بتقديمه لزوارها . . . وعندما مالت الشمس نحو الأفق قال خالد :

ـ لقد كان يوماً حافلاً . . . لقد سررنا كثيراً لكنني أشعر بالتعب حتى في عظامي . . . إنني أرغب في الحصول على حمام دافىء ، لنرجع الى السفينة . . .

كانوا مرهقين جميعاً ، وهم مثله بحاجة الى الراحة بعد حمام دافىء . . . فسرعان ما توجه الموكب الى الميناء دون معارضة . . .

أثناء العودة ، ولدى مرورهم أمام أحد مقاصف المدينة المنتشرة في منطقة المرفأ ، لمح خالد الرجال الأربعة يجلسون إلى إحدى الموائد ، يرافقهم رجلان بثياب الأعراب . . . وقد اقتربت رؤوسهم من فوق المائدة مما يدل على أنهم منهمكون في حديث هام . . .

تجاوز الموكب مدخل المقصف ، وبعد برهة ، وقف خالد واستوقف وليداً بعد أن أمسك بساعده ، وقال :

ـ وليد . . . هاك جهاز التسجيل ، وانطلق الى هذا المقصف وتخير أقرب مائدة الى هؤلاء الرجال . . .

وأشار بيده ناحيتهم وسأله :

ـ هل رأيتهم ؟ . . .

قاطعه وليد بدهشة عندما سأله :

ـ ولكن . . . لماذا ؟؟ . . .

كانت نبرات خالد حازمة عندما أجابه على الفور :

ـ لا وقت للشرح . . . ما عليك إلاّ تشغيل الجهاز وتسجيل ما يدور بينهم من أحاديث . . . وليد . . . لا تبرح المكان قبل مغادرتهم له . . .

نظر وليد إليه بدهشة ، ولمح خالد ظل سؤال في عيني وليد ، لذلك قال موضحاً :

ـ . . . لو لم أكن معروفاً منهم لما ترددت بالقيام بهذه المهمة بمفردي . . .

لم يعترض وليد على طلب خالد ولم يتردد في التوجه الى المكان المطلوب ، يتأبط جهاز التسجيل ويسير بخطوات ثابتة جريئة نحو المقصف لينفذ ما طلب إليه زميله القيام به . . .

انتهز وليد أزيز الكرسي وهو يجلس عليه ليضغط على أزرار جهاز التسجيل دون إثارة انتباه الرجال الذين يجلسون الى الطاولة المجاورة . . . وبثقة نادى على نادل المقصف وقال :

- أريد زجاجة مرطبات وطنية . . . لتكن باردة لو سمحت . . .

نزع قبعته عن رأسه ووضعها فوق جهاز التسجيل وأصاخ السمع ، بانتظار عودة النادل ، وهو يفكر في طلب خالد هذا . . . ولكنه ما كاد يسمع ما تناهى الى سمعه حتى أدرك القصد من هذا العمل . . . إنهم ولا شك مقبلون على خوض مغامرة من نوع جديد . . . لكن . . . أليس هذا ما يسعون اليه ؟؟ . . . أصاخ السمع أكثر ، فسمع أحدهم يقول :

- في الثانية من فجر الغد سنكون على بعد ثمانين عقدة بحرية من هنا ، وهناك . . . ترقبوا ظهوره . . . سيتولى أحدنا . . ستتولى المظلة الحفاظ على سلامة . . .

أجابه أحد الغرباء ، المتنكر بثياب الأعراب ، بكلام يحمل لكنة غريبة . . . وبلغة ركيكة :

- سنأخذ . . ونذهب جنوباً . . . مفهوم ؟؟ . . .

أجابه أحد الاربعة بحدة :

- لا علم لي بهذا . . . كل ما لدي من تعليمات يتعلق بمهمة الساعة الثانية فقط . . . ربما اتصل بكما قبل الإقلاع ليخبركما الموعد الثاني ، والمهمة التالية .

أجابه أحد الرجلين الآخرين بحزم ولؤم :

- إنه يعرف أين وكيف يتصل بنا . . .

غادر الرجلان المتنكران بثياب الأعراب المقصف ، فقال أحد الرجال

الأربعة بلؤم وازدراء :

- ذاك الخنزير . . . إنه يملك الملايين وهو جالس في قصره يلقي إلينا بفتات مائدته مع الأوامر . . .

وبنفس الأسلوب تابع الآخر الحديث :

- لم أكن أتصور أن عملياته بهذه الضخامة وإلاّ لما رضيت بأضعاف المبلغ المتفق عليه . . . إن من يدفع المبالغ الطائلة لاستئجار سفينة تجوب البحار وعلى متنها هذا الخليط من أبناء الشعوب . . . ثري مثله لن يضره التنازل عن جزء يسير من الأرباح لمن يتعرضون للمخاطر من أجله . . .

أجابهما الأكبر سناً بقوله :

- الأمر بأيدينا . . . لقد عرفنا أن الرحلة ستنتهي بعد إرسال آخر برقية . . . عندها ستتم التمثيلية . . . يعلن ذلك القبطان المتعجرف ، حسب أوامر السفاح ، عن خلل خطير يصيب محركات السفينة . . . ويطلب النجدة . . . أقسم أنني اكره هذا القبطان المتعجرف كراهيتي لأي وباء . . . وربما أكثر . . حتى الموت . . .

وكانوا كلما أسرفوا في تناول الشراب ، أكثروا من التدخين وأكثروا من الثرثرة والسعال حتى كاد سعال أحدهم أن يعطل جهاز التسجيل . . . والى جانب إسرافهم في الشراب ، ازداد حديثهم عن ذلك الخنزير الجشع . . . وعلى المائدة الأخرى ، كان وليد يضع يده على معدته لفرط ما تناول من المرطبات فقد أحسها تنتفخ ، بل اقتربت من

الانفجار . . . وقد أنقذه من ذلك اعتدال أحدهم فجأة ووقوفه وهو ينظر إلى ساعة معصمه قبل أن يقول :

ـ فلنذهب . . . اقتربت الساعة من التاسعة . . .

بعد النداء التقليدي ، كان النادل يقف أمامهم وعلى صحن خاص،قدم لهم فاتورة الحساب . . . نقدوه الثمن وغادروا المكان يترنحون من شدة السكر ، حتى كاد أحدهم يقع أرضاً لولا أن تداركه رفيقاه الآخران . . . فيما كان الرابع يقبع في زاوية أحد الشوارع يقيء ما شربه من المشروبات المتعددة الأنواع ، . . .

بعد برهة ، انتصب وليد واقفاً ، ونقد النادل ثمن ما شرب ، واتجه بأقصى سرعة نحو المرفأ . . .

* * *



مغامرة جديدة

ارتاب عصام وليلى من مفاجأة خالد لهم بتكليف وليد القيام بمهمة أثناء عودتهم الى السفينة . . . كان خوف عصام في محله ، إذن ، إنهم على أبواب خوض مغامرة جديدة ، وكان قد عاهد نفسه عدم التورط في أي حدث ، مهما كان ، خصوصاً أنهم ليسوا بين أهليهم ، وهم بعيدون عن بلدهم . . . كان يريد الفوز برحلة طويلة بتجنب الخوض في المشاكل خلال هذه الرحلة . . . لذلك بادر بتوجيه السؤال الى خالد حين قال :

ـ ما هذا العمل يا خالد ؟ . . . ألم تعد عمي المفتش جميل والسيدة والدتك بتجنب المشاكل وعدم التورط بأية مغامرة ؟؟ . . .

كانت نظرات خالد لاهبة غاضبة . . . فقد أجاب بحزم :

ـ إذا ما شعرت بأن بلادي معرضة لخطر ما ، مهما كان نوعه ، فلن أقف مكتوف الأيدي . . . لن ألتزم بوعد قطعته على نفسي إذا كان السبب الموجب لنقضه وجيهاً ولن يؤاخذني والدي على القيام بالواجب .

قلبت ليلى شفتيها وقالت بمزيج من الهدوء والتعجب :

ـ باه . . . إلى هذا الحد الأمر خطير في نظرك ؟؟ . . .

أراد خالد قطع الحوار ، فقد وصلوا الميناء ، واقتربوا من سلم

السفينة ، وهناك شاهدوا القبطان يسير الى جوار رجل قصير القامة ، متورد الوجه ، أشعث الشعر ، وكانا بدورهما يتجهان نحو سلم السفينة ... قال خالد وهو يشيح بوجهه عنهما :

- أسرعوا ... لا أريد أن يتعرفوا علينا كمجموعة ...

وبسرعة ، ارتقى السلم وسبقهم الى مقصورته ، وهناك حمل جهاز التسجيل الخاص بليلى ، وزوده بالشريط الخاص الذي سجل عليه الحديث أثناء غيابهم في ملعب كرة الطاولة ...

كان الاهتمام يزداد كلما سمعوا الحوار بين الرجال الأربعة ، وأسكت خالد الجهاز ، ونظر إليهما يرى تأثير ذلك على وجوههما ... وبعدها سأل :

- ما رأيك يا عصام فيما سمعت ؟ ألا يستحق الاهتمام ؟؟...

استرجع عصام خيوط الأحداث منذ البداية ، وعادت شكوكه من جديد لذلك كان الحماس الذي أظهره بإجابته أكبر مما تصوره خالد ، إذ قال :

- بل يستحق أكثر من هذا ؟!!

سأله خالد :

- هل تعرف لماذا تم تكليف وليد بالمهمة ولم أذهب أنا ؟؟...

تولت ليلى الإجابة بدلاً من أخيها عصام ، فقالت :

- لأنهم رأوك وحدك بالقرب منهم عند المسبح ، لم ترد إثارة شكوكهم إذا ظهرت أمامهم مرة أخرى ... أليس هذا هو السبب ؟؟...

هز خالد رأسه موافقاً ، وقال :

- هذا صحيح ... وأتوقع أن يحمل إلينا وليد أخباراً عما يدبرون ...

استبد الحماس بعصام ، فقال :

- حتى إذا لم يضف جديداً ... ما سمعناه الآن يدل على إنهم يدبرون أمراً في الخفاء ... وقد يكون أمراً خطيراً للغاية ...

نظر إليه خالد نظرة ذات معنى ، وقال وهو يرفع حاجبيه :

- ما كنت سأطلعكم على ما شعرت به منذ البداية حتى لا أتعرض للوم وعدم التصديق من بعضكم ...

قاطعه عصام قائلاً :

- إنك تقصد الحديث عن موقفي ... صحيح ... أعترف أنني كنت ضد أي محاولة تكدر صفو رحلتنا ...

نظر إليه خالد بحنان ، وبعد برهة صمت وتفكير أجابه :

- ومن منا يكره تمضية رحلة كهذه بسلام ، وبدون مشاكل ؟؟.. على كل حال ... لا أريد الخوض بهذا الموضوع ، وحتى لا نكرر المحاولة أريد أن نكون جميعاً على استعداد تام ...

توجست ليلى خيفة مما عساه يحدث ، فتساءلت :

- ولماذا ... خير إن شاء الله !! .

تابع خالد حديثه موضحاً :

- إننا مقدمون على خوض مغامرة خطيرة تحتاج لاتحادنا واتفاق آرائنا ... ثقوا تماماً أنني كنت أنوي التصرف بمفردي حتى تتأكد ظنوني

عندها أطلب منكم العون والمساعدة . . .

توقف خالد عن الحديث ، وانتبهوا جميعهم الى صوت طرقات على الباب . . . بعد قليل ، دفعه وليد أمامه ودخل بانفعال وتحفز ، وبلهفة سأله خالد :

- هل وفقت ؟؟

ارتمى وليد على أقرب مقعد صادفه ، وقال لهم :

- اقفلوا هذا الباب ودعونا نسمع ما دار بينهم من حوار . . .

أغلق عصام الباب ، وأقفله بالرتاج من الداخل ، فيما كان وليد يعد شريط التسجيل ويضبط درجة الصوت حتى لا ينطلق قوياً ويسمع من الخارج . . . وران صمت ثقيل كانوا جميعاً بغاية الشوق لمعرفة الصيد الذي أتى به وليد . . . وأخيراً ، كانوا يتبادلون نظرات ذات معنى وهم ينصتون بشغف للحوار الدائر . . .

انتهى الحديث ، وومضت عينا خالد بوميض خاص ، إنه يضمن النصر في هذه المغامرة ، طالما أنه يفكر بالطريقة السديدة . . . وبعد برهة قال :

- رائع . . شككت بالرجال المتنكرين بزي الأعراب منذ وقع بصري عليهم . . . كان لدي إحساس بوجود رجال تابعين لهم على اليابسة . . .

كانت ليلى متشوقة لمعرفة الخطوات المقبلة ، لذلك سألته :

- وماذا قررت أن تفعل ؟؟ . . .

أجابها خالد بهدوء :

- الليلة ، وقبل الساعة الثانية سأقوم برصد ما سيجري في هذا المطار . . .

تذكر عصام ما حصل لهم صباح الأمس ، فقال :

- خالد . . . إن منطقة المطار محرمة على الركاب جميعهم ولا أستبعد وجود حراسة دائمة عليها تحميها من المتطفلين . . .

أجابه خالد :

- إذا تعذر علي القيام بهذه المهمة سيتولى سرور تنفيذها . . .

نظروا اليه جميعاً وعيونهم تعكس موقفهم ، فتابع بانفعال :

- لا تنظروا إليّ كأنني مجنون . . . نسيتم الكاميرا التي تعمل بالأشعة فوق الحمراء ؟؟ سأختار لسرور مكاناً مناسباً يمكنه من تنفيذ مهمته على الوجه الأكمل . . . أتذكرون تنفيذ المهمة المماثلة في مغامرة « السجين الهارب » . . .

أجابه وليد بغبطة :

- وكيف ننسى ؟ . . . لقد كان موفقاً يومها . . . ولكن الأمر يختلف هنا . . . هنا الظلام حالك ، وعلى ظهر سفينة تتأرجح على صفحة الماء . . . كما أنه على سرور أن يدرك ماذا يجب عليه تنفيذه . . .

نظر خالد الى ساعة معصمه ، وقال بعد برهة تفكير وراحة :

- لدينا حوالي ٤ ساعات قبل أن يحين الموعد الأول كما سمعنا . . .

قال عصام مقاطعاً :

- لا أشك أنهم ينوون استعمال الطائرة المروحية . . .

هز خالد رأسه بالنفي ، وقال :

- لا أظن هذا يا عصام . . . سيطغى هدير محرك الطائرة على الضجة التي تحدثها آلات السفينة ، وكذلك تكسر الأمواج على السفينة . . .

سألته ليلى :

- ماذا تظنهم يفعلون إذن ؟؟ . . .

هز رأسه وقلب راحتيه وقال :

- لا أعلم !! . . الأمر لا زال غامضاً . . . ربما أطلقوا صاروخاً ضوئياً . . . إشارة . . .

تقدمت ليلى ناحية خالد وقالت بحرارة مستعينة بحركات يديها على حسن التعبير عن رأيها :

- أرى أن نصعد الى السطح . . . الى أقرب نقطة مسموح بها لجهة المطار . . . نجلس هناك نراقب لعلنا نعثر على ثغرة نتسلل منها أو يتسلل سرور منها إذا لزم الأمر . . .

لم يناقش خالد طلب ليلى ، بل حمل مصباحه الكهربائي ، فيما زودت ليلى آلة التصوير الخاصة بفيلم جديد ، وحملا عدة الشغل ، وقبل أن يتحرك موكبهم التفت خالد ناحية عصام وقال :

- اصطحب بندقيتك معك يا عصام ، ولا تنس بعض الخراطيش . . .

تبادلوا نظرات ذاهلة مستفسرة قبل أن يرد عصام بقوله :

- سلاح ناري في هذا الليل ؟ . . قد يعقد ظهوره بيدنا الأمور . . .

إبتسم خالد وأجاب بهدوء :

- إلا إذا كانت بندقية ضمن صندوقها ليتم تركيب أجزائها هناك . .

* * *



المغامرون يفشلون

غادر الموكب مقصورة خالد حيث تم الاجتماع ، يتقدمهم فينو وسرور المزهو بلباسه الكاكي الجميل ... اخترقوا مجموعات الشباب المتناثرة على سطح السفينة ، يلهو أفرادها كما يحلو لهم ... هنا مجموعات تؤدي الرقص الشعبي الفولكلوري ، وهناك من يغني وسط مجموعة ... وآخرون يتسامرون ... الكل يلهو ويمرح ما عدا أعضاء فرقة الأذكياء المنهمكين بما هو أهم ...

تخطى الموكب الصفوف جميعها ، وسار نحو أقرب نقطة من مكان المطار ... وهناك ، حول المسبح الجميل الواسع ، جلس كل منهم على كرسي قماشي بعد أن حرك مسنده حسب رغبته وبما يكفل القيام بمهمة المراقبة على الوجه الأكمل ...

كان المطار محاطاً بسور من شريط خاص ، مشبك الحلقات ، ولا يستطيع أحد الدخول إليه إلا من المدخل المخصص لهذه الغاية فيما انتصبت في زواياه الأربع ، أربعة أعمدة ضخمة من الحديد ، تحمل في أجزائها العليا مجموعات من المصابيح الكاشفة تحيل ظلام المكان إلى نهار فيما لو أضيئت دفعة واحدة ، وبذلك تساعد الطيار على الإقلاع والهبوط بأمان واطمئنان ...

كانت عيونهم تبحث عن ثغرة ينفذ منها أحدهم ... ولكن ... لا جدوى ، فقد انتبهوا ، بعد قليل ، على صوت خالد يهمس لهم :

ـ لا مناص من تكليف سرور بالمهمة !!. وأعتقد أن أنسب مكان يربض فيه ، هو أحد هذه الأعمدة الضخمة ...

كان كل منهم يبحث جاداً عن منفذ فربما كان من نصيبه القيام بهذه المغامرة ... عندها أجاب عصام :

ـ وأين سيقع سرور يا ترى فيما لو أضاؤا المصابيح فجأة ؟؟

كانت عينا خالد تنظر إلى أقرب عامود لهم ، وبإشارة من يده ، التفت الآخرون إلى حيث يريد ، عندها قال :

ـ هناك ... في هذه الفجوة بين المصابيح سيكون سرور ، بعيداً عن دائرة الضوء المسلط إلى أسفل ... منها يستطيع سرور القيام بما سيطلب منه وبسهولة ويسر ...

قالت ليلى منبهة :

ـ أخشى أن تبهره الأضواء إذا ما أضيئت فجأة ، فيسقط من مكانه .

انتبه خالد لهذه الملاحظة ، وقال :

ـ يجب تهيئة أعصاب سرور لهذا الموقف الذي قد يواجهه .

انصرف كل منهم لأداء مهمته التقليدية ... كانت ليلى تثبت جهاز التصوير حول جسد سرور مفسحة في المجال له بحسن توجيهه للجهة المناسبة ، فيما كان خالد يتحدث إليه شارحاً ما يجب عمله ... تحرك

سرور برزانة وخفة ، بعد أن أنهى خالد معه حديثه الطويل بقوله :

- سرور . . . إذهب الآن وكن حذراً . . .

وبخفته المعهودة، وخلال ثوانٍ، كان سرور يستقر عند قاعدة أقرب الأعمدة قبل أن يختفي عن أبصارهم ليستقر في المكان المحدد له . . . نظر سرور إلى أسفل ، فرأى خالداً يشبك يديه عالياً ، وهو يقول :

- عظيم يا سرور . . . كنت رائعاً . . .

كانت عيونهم تنظر إلى سرور فيما نظرت ليلى إلى ساعة معصمها فقالت :

- نحن في مكان شبه منعزل . . . قد نلفت الأنظار ببقائنا هنا . . .

لمح خالد الرجل ذا الوجه الأحمر قادماً برفقة القبطان وأحد مساعديه ، عندما كان ينقل بصره إلى ناحية ليلى ، لذلك قال منبهاً :

- سيصعدون الدرج إلى المطار . . . ولكن ما زال الوقت مبكراً ؟؟ . . .

أجابته محذرة :

- فلنذهب من هنا حتى لا تقع أبصارهم علينا . . .

كان عصام لا زال يحمل البندقية الخاصة في حقيبتها . واعتقدوا أن انصرافهم سيكون إلى مقصوراتهم . . . لكن خاب ظنهم . . . فقد اتجه خالد إلى مقدمة السفينة ، وفي مكان منعزل يسوده الظلام ، جلسوا بهدوء وسكينة . . . وبعد قليل سمع عصام صوت خالد يقول :

- عصام . . . أعد البندقية واستعد . . .

أخفى الظلام الدامس إمارات الدهشة التي ظهرت على وجوههم فيما استنكر عصام هذا الطلب وقال :

- أثناء الليل أتهيأ للصيد ؟؟ . . . من يصدق هذا العذر الواهي ؟ . . .

ابتسم خالد وقال مبرراً طلبه :

- إذا تذرعنا بأننا في مباراة لاصطياد ما يصادفنا من أسماك القرش الخطيرة فلا أظن أن ما يوجه إلينا يتعدى كلمات اللوم والتحذير ، ومنع استعمال السلاح هنا . . .

انتهت المناقشة عند هذا الحد ، وران على المكان صمت ثقيل ، كانت أعصابهم مشدودة يرتقبون حلول الساعة الثانية ، موعد الحدث المنتظر . . . احس كل منهم أن عقارب الساعة تتباطأ في تقدمها نحو الثانية . . . فجأة . . . هتف خالد وهو ينظر ناحية المطار :

- يا إلهي . . . أنظروا . . . .

كانت كرة ضخمة تنتفخ هناك ، تلمع صفحات جوانبها مع الأنوار المنبعثة من كشافات المطار ، . . . تابعت الكرة حركتها دون ضجيج وارتفعت رويداً رويداً ، مجتازة صواري السفينة ومدخنتها . . . وانعكس شعاع على حبل مشدود إلى أسفل يتحكم في مسار الكرة . . . لحظة ، وانقطع الحبل ، واندفعت الكرة في السماء في الاتجاه المعاكس لوجودهم ، وأخذت تبتعد بسرعة تجاري بها قوة الرياح . . . رفع خالد

يده ووضعها على جبينه وقال بأسف :

ـ ماأغبـاني . . . كان يجب أن أنتبه إلى اتجاه الرياح وأعرف أنها ستقذف هذا الجسم الغريب الضخم نحو المؤخرة . . . فرصة وذهبت . . .

قالت ليلى متسائلة متعجبة :

ـ ما هذا ؟ . . .

أجابها خالد على الفور :

ـ لا أستطيع الجزم بشيء الآن . . . إنها عملية ذكية ولا شك . . . قد تكون عملية تهريب .

قال وليد :

ـ حسب المعلومات المتوافرة لدينا لن تكون الأخيرة . . .

تابع الجسم الغريب الضخم مساره نحو الغرب واتجه صوب الشاطىء وساعدهم على تتبع مساره نور القمر المنبعث من الجهة المقابلة . . .

استعان خالد بالمنظار المكبر لتتبع هذا المجهول الذي يتحرك بعيداً عنهم . وخيل إليه أن حجمه يصغر . . . وفجأة ، كانت قطعة بيضاء تسقط منه ما لبثت أن خفت سرعة هبوطها بسبب مظلة انفتحت فوقها ، وأخذت تتأرجح ذات اليمين وذات اليسار متابعة انحدارها نحو الهدف المحدد . . .

ظل خالد صامتاً مع منظاره المكبر . والذي يعمل بالأشعة فوق



الحمراء ، يتابع هبوط المظلة حتى اختفت تماماً . . . عندها ، أنزل المنظار عن عينيه وقال لهم :

- وصلت الرسالة كما خططوا لها . . . يا لهم من شياطين . . . هيا بنا لنناقش الأمر . . . قد نهتدي إلى خطة تكفل كشف السر وراء هذا الجسم الغريب . . .

* * *



خطة جديدة

تحرك موكب الأذكياء إلى مكانهم الأول قرب المطار ، وهناك انحنى خالد على أذن فينو وهمس :

- إبق هنا حتى تعود مع سرور . . . انتظر سرور فهمت ؟! . . .

هز فينو ذيله ، وحرك مؤخرته يميناً ويساراً قبل أن يتمسح بساقي خالد علامة فهمه لما أراد منه . . . وقبل أن يتركوه ، صفر خالد صفيراً معيناً سمعه سرور وبدأ الهبوط . . . . إن مهمته انتهت في الأعالي . . . وها هو يراهم يبتعدون مخلفين وراءهم صديقه فينو . . .

في مقصورة خالد ، عادوا للاجتماع من جديد لبحث الخطوات التالية ، ولمناقشة أسباب الفشل ولتلافي الوقوع فيه مرةأخرى،وللتخفيف عن خالد الذي اعتبر نفسه المسؤول المباشر عن فشل الخطة ، سمع ليلى تقول له :

- كنت مصيباً في كل ما فكرت به . . . لماذا تحمل نفسك تبعة ما حدث ؟ إنك لم تخطىء . . .

قاطعها عصام ليقول هو الآخر :

- لماذا الحزن على ما فات يا خالد ؟ صحيح أننا لم نكشف حقيقة ما

جرى ، ولكن . . .

رفع خالد رأسه وأجابه بحزن وحسرة :

ـ ما الفائدة ؟ . . . لقد انتهى الأمر دون تحقيق الهدف المنشود . . . إنها هزيمة لنا يا عصام . . . بل لي أنا . . .

تدخل وليد مقاطعاً حديث خالد ليقول :

ـ إن ما تعتبره هزيمة أعتبره ، من جهتي ، نصراً لك ولنا . . . يكفي أننا حددنا ما يجري وصورناه بصورة هي أقرب إلى الواقع . . .

قال خالد بنفس لهجة الحزن :

ـ . . . ومع الدقة في تصور ما سيجري قد أفلتوا من قبضتنا . . .

أتاه صوت ليلى ليقول بحنان :

ـ خالد . . . لعل هذا الذي تصورته فشلاً كان فيه نجاتنا من مواجهة ، قد تكون خاسرة لنا ، مع هؤلاء الرجال . . . .

كان خالد لا زال في جو الحزن المسيطر على كيانه ، لذلك قال :

ـ ماذا تقصدين بهذا الكلام ؟؟ . . . أهو عزاء لي على الفشل الذي منيت به ؟؟ . . .

ارتسمت خطوط معبرة عن حزنها على جبينها الأبيض ، واقترب حاجباها وهي تقول مستنكرة وبلهجة تعكس صدقها :

ـ لا يا خالد . . . أقسم لك . . . لم أفكر بهذا أبداً . . . أنني أعبر عن إحساسي بما يمكن حصوله لنا . . .

ثم انتقلت بالحديث عن مخاوفها ونقلتها بصدق عندما تابعت تسأله :

ـ . . . هل تدري ما كان ينتظرنا لو أننا فجرنا هذا الجسم الغريب بطلقة من بندقية عصام ؟؟ . . .

نظروا إليها بأعين واسعة مشدوهة ، قال وليد بعدها :

ـ كنا سنواجه هؤلاء الرجال . . . هل في هذا أدنى شك ؟؟

أجابته ليلى بهدوء :

ـ هذا ما أريد الوصول إليه . . . هل كان بمقدورنا ، فيما لو تمت المواجهة ، الوقوف في وجه عصابة بهذه القدرة وتعمل بهذه الإمكانات . . .

استمرت ليلى تشرح تصورها يوافقها الرأي فيه كل فرد منهم من جهته بما تجمع لديهم من معلومات . . . قالت ليلى متابعة :

ـ إنها عصابة تستعمل أحدث الطرق وأبهظها تكلفة . . . لنسترجع سير الأحداث منذ البداية . . . بهذا نستطيع أن نرسم صورة للعدو . . .

قاطعها عصام ليقول :

ـ سمعت التساؤل الذي دار بين عمي والمفتش صفوة . . . كيف يرتب مليونير رحلة كهذا ويتحمل الخسارة المؤكدة فيها وهو مسرور لتحقيق فكرة سامية . . . . لا شك أنها الستار الذي يختفي وراءه القصد من هذه الرحلة . . .

قال وليد من جهته :

- يا له من داهية . . . لقد أعد الأمر بذكاء ليحقق تهريب ما يريد دون التعرض لأي مأزق . . .

كان خالد ساكتاً طوال الوقت ، كان الحزن مسيطراً على تفكيره فقد آلمه ، كما آلمهم ، الفشل الذي وقعوا فيه . . . سمع كل الحجج والتبريرات لتخفيف الصدمة ،ومع ذلك لم يترك الموضوع للصدفة . . . لقد رفع رأسه فظهر وجهه العابس ونظرة التصميم تطل من عينيه ، تحت حاجبين مقطبين . . . إنه لن يعدم وسيلة لإبلاغ والده رسالة بهذا الخصوص . . . كانوا يغرقون في بحر من التفكير عندما فتح الباب وظهر فجأة سرور برفقة فينو ينتصب أمامهم . . .

كانت علامات الفخر والاعتزاز تعكسها تصرفاته . . . وبلهفة تقدم خالد منه وانتزع جهاز التصوير ودفعه إلى وليد وهو يقول :

- وليد . . . أخرج آلة العرض وابدأ بالتحضير . . .

ثم التفت إلى عصام وقال له :

- كانت الكاميرا من النوع الحديث جداً ، بمعنى أنها مزودة بأفلام آلية التحميض . . . لذلك كان من السهل رؤية ما التقطته عدستها فوراً . . .

أتم وليد عمله ، وبدأ العرض . . . مضت لحظات كانت الصور خلالها سوداء معتمة . . . ثم بدأ ظهور بعض الصور وإن كانت غير واضحة تماماً ، ولكنها كافية للتعرف على ما جرى . . .

شاهدوا ثلاثة من البحارة يحملون أكياساً بيضاء اللون ، وبهدوء يتم

وضعها في صندوق ضخم ما لبث أن امتلأ . . . بعد قليل كانوا يحملون جميعاً قطعة كبيرة الحجم غطت سطح الصندوق تماماً . . . بعد الانتهاء من كل هذا ، بدأ جسم أسود اللون بالانتفاخ يأخذ شكل كرة بيضاوية الشكل،فقد انتفخ لدرجة غطى فيها مجال الصورة تماماً فبدت سوداء حالكة ظنوا معها أن الفيلم قد انتهى . . . عندها قال خالد :

- الآن وضح كل شيء تقريباً . . . هذا هو إذن الجسم الأبيض الذي حملته المظلة إلى الأرض . . . وهذا هو السبب في اختفاء الكرة السوداء التي حملته . . .

أنهى خالد كلامه عندما انفرج الضوء في الصورة من الأسفل ، وظهر الحبل المتين الذي شاهدوه سابقاً ، يتحكم بمسار البالون الضخم خشية ارتطامه بمدخنة السفينة . . . . في الأسفل ، ظهر ذو الوجه الأحمر يشير إلى أحد البحارة بيده . . . فحرر الحبل من ربطته فانطلق البالون الضخم إلى السماء . . .

هتف خالد :

- وليد . . . أعد المنظر لو سمحت . . . أعني المشهد الأخير . . .

نفذ وليد طلب خالد الذي هتف مرة أخرى :

- توقف يا وليد . . .

ثبت وليد الصورة فلمحوا في إحدى زواياها صندوقين يشبهان ما حمله البالون الضخم سابقاً . . . عندها قال خالد :

- ها هو الدليل على تكرار العملية . . . إنهم سيطلقون بالوناً آخر في

السابعة من مساء الغد كما نسمع . . .

أوقف وليد العرض بعد انتهاء الشريط الدليل ، فقالت ليلى معلقة :

ـ أعظم هدية تلقيناها من عمي هذه الآلة الحديثة . . . إنها دقيقة في التقاط الصورة والصوت في آن واحد . . . حتى همساتهم قد سجلتها لنا بكل دقة . . .

ضحك الجميع وفرحوا لهذا الاكتشاف مما استدعى تعليق خالد الذي قال :

ـ لو لم تسجل الآلة الصوت لما عرفنا موعد انطلاق الحمولة الثانية . . .

نظر خالد إلى الساعة في معصم يده فرآها تقترب من الثانية صباحاً ولم يكن لديهم رغبة في النوم . . . فالتفت إلى وليد ، أخصائي الآلات الحديثة ، وقال له :

ـ وليد . . . هل بإمكانك استعمال أجهزة الارسال في السفينة . . .

نظر إليه وليد مستفسراً ، فتابع خالد حديثه قائلاً :

ـ أريد إرسال إشارة إلى والدي على موجة مديرية الأمن . . .

فهم وليد المقصود ، فأجابه بثقة متناهية :

ـ طبعاً . . . إنني أستطيع التعامل مع شتى الأجهزة طالما أنني تدربت على النظام الأساسي لعملها . . . ولكن هل أنت جاد فيما تقول ؟؟. . . . .

أجابه مؤكداً :

ـ طبعاً . . . وهل تشك في ذلك ؟ أريد إرسالها بأي ثمن !!.

* * *

مغامرة جديدة

باشر خالد فوراً بكتابة الرسالة ، فيما كان الباقون يتشاورون في الطريقة التي سيتم بها إبعاد عامل اللاسلكي ، والحراس ، إذا لزم الامر ، فمنهم من اقترح احتجازه . . . او إفقاده رشده بضربة قوية . . أو تخديره . . . الى ما هنالك ورسموا لكل من فينو وسرور دوراً يقوم به . . . بعد برهة كانت المجموعة تغادر المقصورة بعد أن تزود أفرادها بالأدوات اللازمة للتمويه والتخدير . . . إنهم لا يعدمون وسيلة في إجراء التنكر المناسب وكذلك يحتفظون دائماً بالمواد اللازمة وقت الضرورة . . .

دس خالد زجاجة صغيرة فيها كمية من الكلوروفورم ، وقال :

ـ ليلى عليك البقاء هنا مع فصيح . . .

حمل عصام حبلاً رفيعاً متيناً وساروا باتجاه مقدمة السفينة ، وبصمت وهدوء تامين ، ساعدهم على تأمينها أحذيتهم المطاطية التي ينتعلونها . . .

لم يخطئوا في التعرف على غرفة الاتصالات ، فهم شاهدوها من قبل خلال القيام بجولة تفقدية استكشافية عند صعودهم اليها . . .

كان فينو يسير في المقدمة يتبعه سرور ، يستطلعان أمامهم . . يتبعها



خالد فعصام ووليد في المؤخرة . . . في الممرات الضيقة ، كانوا ينحنون أمام النوافذ العديدة للغرف . . . وفي النهاية ، وصلوا الى الغرفة المخصصة لعامل اللاسلكي الذي كان يغالب النعاس في هذه الساعة من الفجر . . .

التفت خالد ناحية عصام الذي فهم ما طلب منه ، فأخرج لفافة من القطن بللها بكمية من الكلوروفورم وتقدم حتى وقف خلف العامل مباشرة . . . وبسرعة كانت يمناه تلتف حول عنق العامل المسكين وعلى أنفه يضغط بلفافة الكلوروفورم . . تلاشى على أثرها فوراً دون أن يتعرف على الفاعل . . . وبرفق ، أمسك خالد وعصام العامل ، وأوسداه الارض ، فيما نزع منه وليد السماعتين ووضعهما على أذنيه وباشر عمله بمهارة . . .

وقف عصام يرقب الباب ، فيما كانت أنامل وليد المدربة تعبث بالأجهزة حتى التقط الموجة المطلوبة ، فأخذ ينادي ويكرر :

ـ مديرية الأمن . . . مديرية الأمن . . . هل تسمعني . . . مديرية الأمن . . .

كرر وليد النداء عدة مرات قبل أن يأتيه الجواب بعد حوالي خمس دقائق خالها الجميع ساعات . . . سمع صوتاً يقول :

ـ مديرية الأمن تجيب . . . هل تسمعني . . . حول . . .

كان سرورهم بالغاً لكنه لم يفقدهم السيطرة على أعصابهم ، إذ تابع وليد عمله بإتقان فقال :

- نعم .. أبلغ هذه الرسالة للمفتش جميل أو للمفتش صفوة وفوراً ، الأمر ضروري وخطر . . .

ثم أخذ يملي عليه البرقية المكتوبة أمامه فلما انتهى قال :

- أشدد على التبليغ وبسرعة . . . حول . . .

رد المأمور :

- سنرسلها فوراً . . . حول . . .

انهى وليد البرقية بقوله :

- انتهى .. شكراً . . .

كانت فرحتهم لا توصف بما أنجزوه ، وقبل أن تتعالى ضحكاتهم كان فينو يطلق زمجرة خاصة ينبههم الى وجود خطر داهم . . . وبسرعة أعادوا عامل اللاسلكي إلى موقعه الاول ، وركز وليد الموجة على حالها السابق ووضع السماعتين على أذني العامل . وأسرعوا بمغادرة المكان . . . وبالترتيب الأول الذي حضروا فيه . . .

هبطوا السلالم بأمان حتى منتصف المسافة الفاصلة بين الدرج والمقصورات المخصصة للركاب . . . توقفوا متخفين عندما ظهر من أحد الأبواب مساعد القبطان خارجاً . . .

فقد المساعد توازنه عندما شاهد أحد الحيوانات ينقض عليه ببراعة ، فقفز المسكين الى الخلف وهرب يولول من الخوف . . . فقد قام سرور بدوره على خير ما يرام وأفسح المجال للشبان الثلاثة بالعبور الى مقصوراتهم بأمان ، فيما تولى فينو اللحاق بمساعد القبطان الهارب الذي لم يتوقف الا

وقد أمسك سرور بعنقه وارتمى معه أرضاً بعد ان تعثرت خطواته . . . وزاد خوفه وقوف فينو فوق رأسه يزمجر بغضب . . .

نجحت الخطة المرسومة بكل تفاصيلها ، حتى مساعد القبطان استطاعوا التخلص منه بمساعدة قردهم الذكي وكلبهم الوفي . . . وبسرعة كانوا يقفون أمام باب مقصورة خالد الذي قال :

- فلنذهب كل الى فراشه . . . سأخرج استطلع وقع المفاجأة . . . حاول وليد الاعتراض ، عندما قال :

- ولكن كيف تفسر خروجك في مثل هذه الساعة ؟؟

كان خالد ينزع عن رأسه أدوات التنكر ، ويرتدي لباس نومه وفوقه « الروب دي شامبر » ، ونفش شعره قليلاً ، وفرك عينيه كأنما استيقظ لتوه . . . واندفع خارجاً يهتف :

- سرور . . . فينو . . . أين هما ؟؟

من بعيد ، جاءه صوت مساعد القبطان الخائف .

- هنا أيها الشاب . . . أسرع أرجوك !!!

اتجه خالد ناحية الصوت مسرعاً ، وزجر فينو واقترب منه ليمسك بطوقه . . . وقد أظهر علامات الأسف لما حصل والغضب من كلبه الشرس ؛ فقال :

- لا تؤاخذني يا سيدي . . . لست ادري كيف خرجا من المقصورة ، لا أعرف لماذا طارده هذا الكلب اللعين . . .

لما زال الخطر عن مساعد القبطان ، وهدأت نفسه قليلاً ، انفجر غاضباً وقال :

- ما هذه الفوضى يا سيد ؟ . . . كيف تترك حيواناتك تمرح حرة وتهاجم الناس ؟؟ . . .

كرر خالد أسفه لما حصل وأنه أقفل عليه الباب جيداً ، ولكن هذا القرد مولع بفتح الاقفال وهكذا قد حصل ما حصل . . . ولم ينس خالد أن يشكر الرجل ، وقد انتقل سرور الى صدره بعنف يحتمي به ، فقال :

. . . بقدر ما أسفت لما حدث فإنني مدين لك بالشكر على إنقاذ حياة هذا القرد المسكين . . .

زال الغضب عن مساعد القبطان ، وارتاحت نفسه من ذيول هذه الحادثة المفاجئة خاصة بعد أن مد سرور شفتيه وقبله قبلة مسموعة عربوناً على شكره وامتنانه . . . ومرت التمثيلية بنجاح . . . حياه خالد بعدها وعاد الى مقصورته فرحاً ، يحمل قرده على صدره ، فيما تبعه فينو . . .

كان الثلاثة متلهفين لمعرفة ما حصل ، وها هو خالد يبلغهم ما حصل والفرح يغمر كيانه . . . ولم ينس أن يطلبُ منهم الخلود الى الراحة بعد هذا العمل الناجح ، خاصة وأنهم على عتبة مغامرة لم تنته فصولها بعد . . .

* * *

العامل المخدر

واصل مساعد القبطان سيره باتجاه غرفة اللاسلكي ، وهتف بأعلى صوته :

- ميشيل ؟ . . . ميشيل ؟

كان ميشيل غارقاً في سبات عميق بتأثير المخدر ، فلم يسمع مساعد القبطان رداً . . . انفجر غاضباً ورفع عقيرته بالنداء مهدداً هذه المرة :

- ميشيل . . . الويل لك إن كنت غارقاً في النوم كالعادة . . .

ومرة أخرى لم يسمع جواب العامل المسكين ، فارتقى مساعد القبطان السلم بسرعة والغضب يغمر كيانه ، وهاله ما رأى . . . كان ميشيل منكفئاً على المنضدة وهو في سبات عميق .

اقترب منه وهزه بعنف . . . وفيما كان مساعد القبطان يقول :

- أفق أيها المنكود . . . أقسم أن تنال عقاباً صارماً . . . توقف عن الكلام حين سقط ميشيل على الأرض دون حراك .

تراجع مساعد القبطان مذعوراً من هذا المنظر ، ثم اقترب منه وانحنى عليه بعد أن مدده على ظهره ، ففاحت رائحة الكلوروفورم النفاذة وأحس معها أنه قد بدأ بالترنح ، لذلك ابتعد عنه وأخرج صفارته ونفخ فيها

بشدة . . . وسرعان ما أحاط به أكثر من حارس مثيرين جلبة كبرى انفتح على أثرها باب غرفة القبطان وبرز هو منه مذعوراً وسألهم بغضب :
ـ ماذا حدث ؟ ما هذه الضجة . . . ؟؟

أخبره مساعده بما جرى ، فاستدعى الطبيب على الفور ليبلغهم بعد الكشف عليه بقوله :
ـ مددوه في فراشه . . . سيستفيق بعد ساعة . . . لا خطر عليه . . .

انتقل به عدد من الحراس إلى فراشه فيما بقي القبطان ومساعده وبعض الحراس في الغرفة ، وقبل أن يتحركو إلى غرفهم ، كان صوت أجش النبرات يقول بحزم :
ـ ما معنى هذا ؟؟ كيف تم تخديره ؟؟ . . . أريد تحقيقاً سريعاً . . .

كان ذو الوجه الأحمر هو المتكلم ، فارتعدت فرائص القبطان ومساعده ومن معهما من الحراس على السواء ، مما يدل دلالة قاطعة على مدى تأثير نفوذ هذا المليونير الجبار . . .

انسحب المليونير بعد هذه العبارة الآمرة الموجزة، فيما التفت القبطان ناحية مساعده والحراس وأصدر أوامره لهم قائلاً :
ـ فتشوا السطح والممرات ، وكل من تجدوه أمسكوا به على الفور . . .

تحرك الحراس ومساعد القبطان ، ولكن . . . وبعد أن سار عدة خطوات ، توقف ليعود إلى الوراء وهو يقول بصوت مرتفع نسبياً :
ـ هذا الشاب وقرده وكلبه . . .
توقف المليونير عند سماع هذه العبارة ، وطلب من مساعد القبطان

الحضور إليه وسأله بغضب :
ـ ماذا تعني ؟ . . .

قص مساعد القبطان ما جرى معه منذ لحظات والمليونير والقبطان يستمعان بكل اهتمام ، وأخيراً انفرجت شفتا ذي الوجه الأحمر ليقول بلهجة آمرة متسلطة غاضبة :

ـ أحضروه إلى هنا فوراً . . . تحرَّ الأمر معه يا كابتن . . . ولا تنس التحقيق مع هذا الغبي ميشيل . . . حالما يستعيد وعيه ،دعونا نسمع ما يقول . . .





طلب مساعدة

اتصل عامل اللاسلكي بمديرية الأمن بمنزل المفتش جميل الذي استيقظ على الفور وهتف مذعوراً :

ـ آلو ... من ؟ ... ؟؟

جاءه الرد مفاجئاً ، فاتسعت حدقتا عينيه ، وغادرهما النعاس ، وقال بلهفة :

ـ إقرأ بسرعة ...

أنصت المفتش بكل جوارحه لنص البرقية ، ودون على دفتر قريب منه بعض الملاحظات ، ثم أنهى الحديث مع المأمور عند ما قال :

ـ شكراً لك ...

وضع السماعة جانباً بكل هدوء ، وقد غاص في بحر لا قرار له من التفكير ، وبعدها ... كانت حركته تضج بالحيوية وهو يتأهب للخروج ...

استيقظت السيدة سعاد وتملكتها الدهشة هذه المرة وهي التي اعتادت الاستدعاءات الليلية ، ولكن ما هذا القلق المفاجىء على وجه جميل ؟؟ ... كانت تتساءل وهي تراقبه ، ولكنه قال موضحاً :

ـ برقية من الأولاد ...

هتفت بذعر :

ـ اللهم اجعله خيراً ... برقية ؟ ماذا جرى لهم ؟ ... تكلم يا جميل أرجوك ...

ارتسمت على وجه المفتش ابتسامة غامضة وقال يطمئنها :

ـ إنهم بخير ... ولكن حتى على متن سفينة للرحلات يجدون ما يدسون فيه أنوفهم ...

كانت مشاعر القلق تستبد بأعصاب السيدة أكثر فأكثر ، فقالت :

ـ جميل ... أرجوك ... أخبرني ماذا حدث ؟ ...

أجابها باسماً ، رغماً عنه ، ليبدد قلقها .

ـ إنهم بخير ، لا تخافي ... أرسلوا برقية يطلبون فيها ضبط جسم غريب أرسله أفراد عصابة من على متن السفينة إلى المنطقة الجنوبية الغربية غير بعيد من هنا ... وقد ألحوا في طلب قوة من مفرزة خفر السواحل لإلقاء القبض على من تبقى من أفراد العصابة على متن السفينة مع باقي الحمولة ...

قالت متشككة متسائلة :

ـ وكيف أرسلوا برقيتهم ؟؟ ...

كان المفتش جميل يرفع سماعة الهاتف ويتصل بمركز الحدود في المنطقة المحددة ، لذلك لم يجب على تساؤلها ، بل سمعته يقول :

- . . . لتخرج القوات المختصة إلى المنطقة الجنوبية الغربية للبحث عن صندوق مربع الشكل ، أبيض اللون ، بداخله كمية من المهربات . . . ولا مانع من الاستعانة بالطائرات المروحية مع بزوغ الفجر للمشاركة في البحث . . .

سكتت السيدة سعاد كلياً ، فيما كان المفتش يحاول الاتصال بالمفتش صفوة الذي استيقظ ساخطاً مذعوراً ولكنه استكان وهدأت سورة غضبه عندما عرف من محدثه ، المفتش جميل ، ما يريد ، . . . عندئذ أجابه باحترام وتقدير :

- سأحضر فوراً ، سيدي ، لأصحب سيادتكم من المنزل . . .

أنهى محادثته والتفت إلى السيدة سعاد التي كانت ترمقه بإعجاب واحترام وقال لها بحنان والابتسامة على شفتيه :

- ألا استحق منك فنجاناً من القهوة مقابل ما يسببه لي أبناؤك من متاعب ؟؟ . . .

ابتسمت بدورها معجبة بزوجها وبأولادها على السواء ، فهي تعتبرهم جميعاً أولادها ، وأدركت أن ما أخبرها به زوجها هو الحقيقة كاملة وأن لا خطر على خالد وأبناء عمومته الأذكياء ، ولكنها قبل أن تغادر المكان قالت :

- صبراً حتى يعودوا يا جميل . . . سوف أحرمهم من القيام بأية رحلة طوال ثلاثة أشهر إذا لم يكن أكثر !!

كانت إجابة المفتش مناقضة لرأيها ، إذ قال :

- إنهم يستحقون المكافأة وليس العقاب . . . ما كشفوا عنه هذه المرة يدعو للفخر . . .

* * *



الطريدة الأولى . . .

غادر المفتش جميل المنزل برفقة المفتش صفوة ، واتجها فوراً إلى المطار ليستقلا طائرة مروحية عسكرية كانت بانتظارهما . . . جلس المفتش جميل إلى يمين الملازم الطيار وسأله :

ـ تعرف ولا شك المهمة والجهة المقصودة ؟؟ . . .

بعد أن أجابه الملازم بالإيجاب ، قال المفتش صفوة معلقاً على أسلوب العملية :

ـ يا لها من طريقة رهيبة . . .

تولى المفتش جميل شرح تفاصيلها كما وردت في البرقية ثم قال معقباً على الموضوع :

ـ . . . إنهم أضافوا أسلوباً جديداً ومبتكراً . . . وأسلوبهم هذا مضمون النتائج في أغلب الأحيان ومأمون العواقب . . . فكر يا صفوة، لماذا يستعملون المنطاد ؟ هذا ما سماه الأولاد البالون الكبير ، . . . . إنه يا سيدي لا يكشفه الرادار لأنه من المطاط وخال من القطع المعدنية ، فضلاً عن أن الوقت الذي يستغرقه في الجو قبل التخلص منه قصير نسبياً بعد دخوله المجال الجوي لأي بلد . . . هكذا يخططون له . . . ولهذا استعانوا بالمظلة لإنزال الحمولة إلى أراضينا وفي المكان المحدد . . .

قال المفتش صفوة معلقاً :

ـ حتى ولو كشفه الرادار، فلن تتمكن الطائرات من العثور عليه لأنه يختفي قبل إقلاعها ، وهكذا تبحث عن لا شيء . . .

توقف المفتش عن الحديث عندما بدأ الطيار بالانخفاض ليراقب رتلاً من السيارات العسكرية يتجه نحو العاصمة . . . كانت حركة الطيار بارعة عندما خفض ارتفاع الطائرة إلى أدنى حد ممكن فوق العربات وليتأكد من هويتها ، أجرى معها اتصالاً عرف منه أنهم قبضوا على أربعة من المهربين وبحوزتهم كمية من المخدرات في صندوق أبيض تقدر بستين كيلو غراماً من الحشيش . . .

أمر المفتش بالهبوط وطلب آمر القوة التوقف ريثما يحضر لإجراء الكشف على الصندوق الذي كان مطابقاً للوصف الذي حملته البرقية . . .

إلى جوار الصندوق جلس أحد الرجال الأربعة وقد تنكر بزي أعرابي ، كبله رجال الشرطة بالقيود مع صندوقه ، . . . تفرس المفتش في وجهه ملياً ثم قال وهو يهز رأسه :

ـ آه . . . فخر أبو الذهب . . . أهلاً أهلاً . . . وقعت إيه ؟؟ . . . .

ثم أشاح المفتش بوجهه عن وجه هذا المهرب الخسيس والتفت إلى رئيس المجموعة المداهمة وقال :

ـ هذا المجرم هارب من حكم بالأشغال الشاقة المؤبدة . . . شددوا

عليه الحراسة ، إنه ثعلب خبيث . . .

استعرض المفتشان بقية المعتقلين ولكنهم لم يثيروا في نفسيهما ذكريات خاصة ، بعدها توجها إلى الطائرة المروحية فيما تابعت القافلة سيرها . . .

قبل الصعود إلى الطائرة ، طلب المفتش من قائدها الملازم الطيار الاتصال بغرفة العمليات قبل تشغيل محركها . . . وذلك لإصدار الأوامر الضرورية . . . وفي نهاية حديثه قال :

ـ يجب الاستعانة بالطوافات للإطباق على السفينة مؤازرة لشرطة خفر السواحل على أن يتم كل ذلك في المكان المحدد وفي الوقت المحدد كذلك . . . مفهوم ؟؟

* * *



خدعة ناجحة . . .

هب خالد من فراشه مذعوراً عندما سمع طرقات قوية على باب مقصورته ، وصرخ :

ـ من ؟ . . . من هناك ؟ . . .

وقبل أن يتم عبارته الثانية ، انفرج الباب عن مساعد القبطان الذي دخل غاضباً ، والشرر يتطاير من عينيه ، وهو يقول :

ـ هلم معنا !!.

تظاهر خالد بالخوف لهذا الطلب المفاجيء ، وسأله :

ـ ماذا ؟ . . . هل هربا مرة أخرى ؟ . . . غير معقول . . .

كان يقول هذا وهو ينظر إلى سرور القابع إلى جانبه ، وإلى فينو الرابض عند أقدامه ، والذي هب مستعداً عندما سمع الطرق على الباب ، وأخذ يُزمجر غاضباً ، قبل أن ينهره خالد الذي تابع حديثه :

ـ وهل أذهب هكذا أم أرتدي ثيابي ؟؟ . . .

تجاهل مساعد القبطان سؤاله وقال بشراسة :

ـ أريد تفسيراً لوجودك على ظهر السفينة في مثل هذه الساعة ؟؟ . . .

تباكى صوت خالد وهو يقول :

ـ أقسم لك يا سيدي ما خرجت إلا لأبحث عن هذا القرد المسكين



الذي أنقذته حضرتك من براثن هذا الوحش . . . لماذا تريدني يا سيدي ؟ هل حدث شيء لا سمح الله ؟؟. . .

ظهرت علامات الحيرة والشك على وجه الرجل ، فهو أمام فتى حديث السن ، ترتعد فرائصه خوفاً ، وتظهر نبرات صوته صدق قوله . . . . لذلك صرف النظر عن استدعائه ، وقال وهو ينسحب :

ـ لا بأس . . . أكمل نومك وانس ما حدث . . .

عاد المساعد إلى غرفة رئيسه الذي كان يجلس إلى جانب ذي الوجه الأحمر ، والذي امتقع لونه من شدة الغضب . . . وقال :

ـ وجدته فتى في حوالي السابعة عشرة . . . لقد بكى حين وجهت إليه السؤال . . .

قال ذو الوجه الأحمر مقاطعاً :

ـ ألم يستفق بعد ذلك الحيوان ميشيل ؟؟. . .

هب القبطان من مكانه وأجرى اتصالاً مع غرفة الإسعاف فتلقى الرد بأن العامل لا زال في غيبوبته . . . وأسفر التفتيش الدقيق الذي أجراه الحراس عن لا شيء سوى منديل صغير تنبعث منه رائحة الكلوروفورم ، يبدو أن أحدهم مسح يديه به . . . وعندما قدمه أحدهم سأله القبطان :

ـ أين عثرت عليه ؟؟. . .

أجابه الحارس :

لفت نظرهم وجوده قريباً منهم . . . فقال في سره :

ـ لقد بدأت ثرثرة مساعد القبطان تأثيرها . . .

كان الثلاثة الآخرون ، عصام ووليد وليلى يمرحون كعادتهم فيما كان سرور وفينو يرافقان خالد في حين انضم فصيح إلى موكب ليلى . . .

لعبوا ومرحوا حتى انتصف النهار ، وعندما سمعوا نداء الغداء نزلوا إلى غرفة الطعام وتناولوا طعامهم بشهية شبه معدومة . . . إن الساعات تمر بطيئة وبطيئة جداً . . . أو هكذا خيل إليهم ، قبل حلول موعد الغروب . . .

كان القبطان يقف بجوار ذي الوجه الأحمر على مقدمة السفينة المنطلقة بأقصى سرعتها ، ووراءهما ارتسم منظر بديع خلاب . . . فقد بدت الشمس قرصاً أحمر اللون ، تميل نحو المغيب لإنهاء نهار وإيذاناً باستئناف دورة جديدة من الزمن في جهة أخرى من الكرة الأرضية . . .

قال المليونير ذو الوجه الأحمر ، وهو ينظر في البعيد :

ـ في السادسة والنصف سيعم الظلام كل شيء . . .

أجابه القبطان مادحاً :

ـ كانت فكرة سيدي رائعة عندما اختار اللون الأسود للمناطيد التي نستعملها . . .

قطع حديث القبطان أحد الرجال الأربعة لاهثاً يرتعد من الخوف ، وهو يقول بصوت متقطع :

ـ زوارق الطوربيد تلاحقنا تواكبها طائرات مروحية مطاردة . . .

التفتا إلى الخلف ، فتناهى إلى أسماعهما هدير محركات الزوارق وأزيز الطائرات منطلقة بأقصى سرعة باتجاه السفينة لتمر مر السحاب من فوق رؤوسهم . . . .

لم يمر وقت طويل قبل أن تحيط الزوارق الستة بالسفينة وقد سلطت أنوارها الكاشفة عليها فاستحال ظلام الغروب إلى بياض الفجر . . . ووسط ذهول جميع الركاب ، كان صوت الضابط المسؤول يأمر :

ـ توقفوا فوراً . . . لا مقاومة وإلا أطلقنا النار . . . أنتم محاصرون من كل جانب . . .

ارتعدت فرائص المليونير ، الأحمر الوجه ، ولكنه تمالك نفسه وصرخ بصوت عالٍ :

ـ إلى الطائرة . . . أسرعوا . . .

كان الطيار قد سبقه إليها ، وأدار محركها ، ولكن قبل أن يرتفع بها كانت تحلق فوقه ثلاث طائرات مروحية ، رأى بوضوح علامات القوات الجوية على جوانبها . . .

صرخ ذو الوجه الأحمر مزمجراً :

ـ انطلق . . . طائرتك أسرع وأحدث . . .

عاد الطيار أدراجه ، وأسكت محرك الطائرة وهو يقول . . .

ـ لا أمل لنا . . .

إلى جانب تلك الطائرة كانت طائرة أخرى تهبط بكبرياء ، نزل منها المفتش جميل وتبعه المفتش صفوة . . . عندها اندفع خالد بكل قوته ووقف

بجوار والده باعتزاز وقال :

- بابا .. بابا ... هاك الصندوقان الآخران ...

كانت يده تشير إلى صندوقين كبيري الحجم ، لونها أبيض ... فرماه مساعد القبطان بنظرة حانقة غاضبة ، تعكس بلاهته وهو يقول :

- كانت تصرفاتك تمثيلية إذن ... لقد أتقنت أداءها ...

ابتسم خالد وضحك المفتش جميل والمفتش صفوة ، وشاركهم فرحهم باقي أفراد الفرقة ، قبل أن يقول المفتش جميل :

- كان عملكم رائعاً ... بفضل وعيكم وحرصكم تم القبض على أربعة رجال، وضبطت منهم المخدرات في المكان المحدد بدقة في برقيتكم ...

ود المليونير ذو الوجه الأحمر لو انقض على خالد وخنقه بيديه ولكن هيهات ... فقد كبله رجال الشرطة الأشاوس بالأصفاد ، فلم يسعه إلا القول :

- يا لكم من شياطين حقاً ... مثلكم يقوم بكل هذا ؟؟ ...

مرة أخرى ابتسم المفتش جميل فيما كان المفتش صفوة يعبر عن الموقف بقوله هامساً في أذن المفتش :

- أخشى أن يفقد الرجل عقله قبل تقديمه للمحاكمة ...

* * *

تمت

لئن كانت غاية القصة « البوليسية » جذب القارئ ، وشده إلى متابعة أحداثها ، وتعويده على دقة الملاحظة ، وحضور البديهة .. إن كتابها لم يراعوا - في الغالب - العرض الفنيّ والأدبي ، ولم يهتموا بالجانب الخلقي ، ولم يهدفوا إلى بناء المواطن المثالي ، لذلك فإنهم إن أفادوا من جانب ، فلقد أضروا من جوانب شتى .

في قصتنا « البوليسية » هذه نعتز بالمحافظة على غاية هذا اللون من القصص ، مضافاً إليها العرض الأدبي الرائع ، والاعتزاز بالخلق الرفيع ، والاهتمام بالمبادئ التربوية القويمة التي جاءت بها ديانات السماء كلها وحضّت عليها .

بالفخر الكبير ، نضع قصتنا هذه بين يدي الآباء والأمهات والأولاد والبنات والأخوة والأحباب وكل الغيارى على الفن والأخلاق .. مؤمنين أن هذا سبيل من سبل خدمة الأجيال .



صدر من « المغامرين الأذكياء »

واحة الأشباح
العصابة الخفية
بائعة الورد
خمسة جنيهات ذهبية
بيت الأسرار
سر العصافير
سجين القلعة
الكنز الإفريقي
تاجر المجوهرات
مغامرة في الصحراء
عش الثعلب
بائع الناي
رسول منتصف الليل
المهرب المجهول
السجين الهارب
القصر المهجور
الكرة الحمراء
مروّض الحيات
المجوهرات العائمة
منزل من ذهب

مسح ضوئي: يونس

youyou72dz@yahoo.fr

